ⲑⲙⲏⲧⲣⲟⲡⲟⲗⲓⲥ ⲛⲓⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ ⲛ̀ⲣⲟⲇⲟⲗⲟⲍⲟⲥ
ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲃⲁⲕⲓ ⲩⲁⲧⲁⲧⲁ ⲛⲉⲙ ⲉⲗⲉⲱⲙ
ⲉⲧⲃⲉⲛ ⲩⲁⲧⲁⲧⲁ
مطرانية الأقباط الأرثوذكس
لمركزي مغاغه والعِدوة - بمغاغه

صادر /
مرفقات /
تاريخ ٧ / ١٢ / ٢٠٢١م

سـر التجسـد الإلهى

يُعد هذا الموضوع ، من الموضوعات العقائدية ، والهامة فى المسيحية ، لذلك خصصنا موضوعاً ، عن سر التجسد الإلهى .

❖ لُقب السيد المسيح فى ميلاده ، بألقاب كثيرة . ومن بينها : لُقب بالله المتجسد ، على لسان معلمنا القديس بولس الرسول :((عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر فى الجسد)) (١تى ٣ : ١٦) .

❖ ولُقب أيضاً بالكلمة المتجسد ، على لسان معلمنا يوحنا الرسول : ((الكلمة اتخذ جسداً ، وحل بيننا . ورأينا مجده ، مجداً كما لوحيد من الآب ، مملوءاً نعمة وحقاً)) (يو ١ : ١٤) .

وإليك تفاصيل هذا الموضوع :

١- بشارة العذراء ، بالحبل والولادة .

❖ قام رئيس الملائكة جبرائيل ، بتكليف من الله ، ببشارة السيدة العذراء مريم ، وهى أن تحبل وتلد السيد المسيح : ((وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً، وتسمينه يسوع)) (لو ١ : ٣١) .

أ – فبلا شك هذا الموضوع ، بالنسبة للعقل البشرى ، استحالة أن يحدث !! لأنه لا يمكن أن يحدث حبل لامرأة أو ولادة، بدون زرع بشر ؟ ! فمن هنا جاء قول العذراء للملاك : ((كيف يكون هذا ، وأنا لست أعرف رجلاً ؟!)) (لو ١: ٣٤) .

ب – ولكن نظراً لتدخل الله فى هذا الموضوع ، صار : ((غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله)) (لو ١٨ : ٢٧) . وغير الممكن ، أصبح ممكناً لدى الله : ((ليس شئ غير ممكن ، لدى الله)) (لو ١ :٣٧) .

وهذه القدرة الإلهية الفائقة ، تجعلنا أن ننتقل إلى :

٢ – حلول الروح القدس ، على أمه العذراء مريم :

❖ أشار الكتاب المقدس إلى هذا الحلول ، فى قول الملاك للعذراء : ((الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ ، يُدعَى ابن الله)) (لو ١ : ٣٥) .

فبلا شك الحلول حدث حقيقةً ، كما هو واضح فى الكتاب ، ولا يوجد أدنى شك حوله .

أما ما نود أن نعرفه ، هو :

❖ نـوع الحلـول وأهدافه :

استخدم قداسة البابا شنوده الثالث تعبير : الحلول الأقنومى المؤقت ، على السيدة العذراء مريم. ليشرح عمل أقنوم الروح القدس ، فى سر التجسد الإلهى .

أ – وفى مقدمة ما قام به الروح القدس ، فى حلوله على الســـيدة العذراء ، هو أنه طهر وقدس دماء السـيدة العذراء ، ومسـتودعها ، من الخطية الوراثية ، لأنها كانت وارثة لها ، كما ذكر الكتاب : ((بإنســـان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع)) (رو ٥ : ١٢) .

❖ وهذا لكى يقبل الله الكلمة ، أن يتحد بالناســـوت الخالي من الخطية الوراثية ، والذى يعده له الروح القدس .

ب – كما أن للروح القدس هدفاً آخر من الحلول ، وهو إعداد الناسوت فى بداية تكوينه ، ليتحد به الله الكلمة ، أو أقنوم الابن ، اتحاداً أقنومياً .

❖ أى لاهوته اتحد بناســـوته ، منذ اللحظة الأولى لتكوينه . ومن هنا قال الرســـول بولس ، فى رســـالتـه الثـانيـة لتلميذه تيموثـاوس: ((عظيم هو ســـر التقوى ، الله ظهر فى الجســـد)) (١ تى ٣ : ١٦).

جـــ – وكـــان هذا العمل لأقنوم الروح القدس ، وقت الحبل الإلهى فقط ، ولما وُلِد الرب يسوع ، انتهى هذا الحلول المؤقت . وهذا الحلول ، هو عمل أقنوم الروح القدس فى التجســـد ، وليس اتحاداً أقنومياً إطلاقاً ، مع السيدة العذراء !!!

ثم بعد ذلك ، يجب أن يتم اتحاد بين اللاهوت والناسوت ، داخل أحشاء العذراء . ويترتب عـلى هـــذا :

٣ – حلول أقنوم الابـن الله الكلمة ، فى أحشاء العـذراء :

❖ أشار الكتاب صراحة إلى هذا الحلول ، كما أشار ســـابقاً إلى حلول الروح القدس على أمه العذراء ، وذلك لكى يتم الاتحاد بين أقنوم الابن الله الكلمة ، والناســـوت ، داخل أحشـــاء العذراء . إلا أنه ، فـــى وقـــت حـــلول أقنوم الابن للاتحاد بالناسوت ، داخـــل أحـــشاء العـــذراء، كانت الـــعذراء في بدء الحبل بالمسيح فى أحشائها.

فمن هنا توجد صعوبة بـالـغة ، فى الفصل بين توقيت حلول الابن فى أحشاء العذراء ، واتحاده بالناســوت داخل أحشائها .

❖ أما عن حقيقة اتحاد اللاهوت بالناسوت ، داخل أحشاء العذراء ، وبالفعل قد تمت حقيقة، بناء على رغبة المســـيح ، وتنازله بأن يتجســـد ، فى صـــورة عبد مثلنا بلا خطية ، بالرغم من أنه ليس عبداً ، بل الله المتجسد ، أو الظاهر فى الجسد . وأَكـد عـليها الكـتاب ، عـــــدّة مـرات قـائلاً : ((أخـلى نفسه آخذاً صورة عبـد ، صائراً فى شبه الناس)) (فى ٢ :٧) .

❖ وفى الرسالة إلى أهل كولوسى ، أشار الرسول إلى هذا الجانب بقوله : ((لأنه فيه ، سُر أن يحل كل الملء)) (كو ١ : ١٩) .

((وكل الملء)) يقصد به الرسول أى : ((كل ملء اللاهوت جسدياً)) (كو ٢ : ٩) .

ثم ننتقل بعد ذلك إلى :

أ – نوع الحلول .

وكان الحلول في أحشاء العذراء ، حلولاً أقنومياً ، وليس الهدف منه شخص العذراء ، بل الهدف منه ناسوت السيد المسيح ، بغرض الاتحاد به .

ب – أهداف الحلول .

بلا شك كان الهدف الأساسى لحلول أقنوم الابن ، هو الاتحاد بالناسوت .

وكما أن للحلول هدفاً ، يوجد أيضاً للاتحاد أهدافاً أخرى :

جـ – أهداف الاتحاد :

توجد أهداف جوهرية ، من اتحاد لاهوت المسيح بناسوته ، ولأجلها تم هذا الاتحاد ، فمن بينها :

❖ توفير الشروط الكاملة ، فى الكائن الذى ينوب عن البشرية فى الفداء ، كما يطلب العدل الالهى .

لأن من شروط الله ، فى الكائن الذى ينوب عن البشرية فى الفداء هى :

❖ أن يكون كائناً يتساوى مع الله ، فى كل شئ .

لأن الخطية موجهة لله غير المحدود ، فأصبحت مسؤليتها غير محدودة . ولكى تغفر هذه الخطية للإنسان ، ينبغى أن يموت كائن نيابة عن الإنسان ، يتساوى مع الله فى كل شئ ، بما فيها صفة اللامحدودية .

فلا يوجد كائن غير محدود ، سوى المسيح فقط . نظراً لمساواته مع الآب فى هذه الصفة ، استطاع أن يصلح لفداء البشرية .

❖ وأن يكون كائناً معصوماً ، من الخطايا الجدية والفعلية .

وهذا المطلب استحالة وجوده بين البشر !! ولذلك الوحيد الذى يصلح لهذا الموضوع ، هو السيد المسيح ، نظراً لعصمته من الخطيةً الجدية، والخطايا الفعلية ، ولذا قال القديس بولس الرسول ، فى رسالته الثانية لأهل كورنثوس : ((الذى لم يعرف خطيةً)) (٢كو٥ : ٢١). ويؤكد على ذلك القديس بطرس الرسول، فى رسالته الأولى ، بقوله عن المسيح : ((الذى لم يفعل خطيةً ، ولا وُجدَ فى فمه مكرً)) (١بط ٢ : ٢٢) .

❖ وأن يكون كائناً ، فى تكوينه الجسمانى دم .

لأن غـفران الخطايا ، يتم من خـلال سفك الـدم (عب ٩ : ٢٢) . فمن هـنا تم الاتحاد بين اللاهـوت والناسوت ، لكى يعطى اللاهـوت لدم المسيح ، كفارة غير محدودة ، لغـفران خطايا جـميع الناس ، فى كل الأزمنة والأماكن .

لذلك مـــن بـــعـــد الاتحاد ، أصبح لدم المسيح هـــذه الصفة ، ولها شـــهد الرسول : ((كفارة لا لخطايانا ، بـل لخطايا كل العالم)) (١ يو ٢: ٢).

د – أمثلـة للاتحـاد :

قَدَّم لنا القـديس البابا كـيرلس الأول – أى عـمود الدين . بـعض الأمثلة ، تـشير للاتحاد بين اللاهوت والناسوت . وهى مـثال :

- ❖ اتحاد الروح بالجسد ، فى الإنسان .
- ❖ واتحاد النار بالفحم ، فى قطعة الفحـم .
- ❖ واتحاد النار بالحـديد ، فى قطعة الحـديد.

هكذا كان اتحاد اللاهوت بالناسوت ، فى السيد المسيح ، وهو داخل أحشاء العذراء .

هـ – سـمات الاتـحاد :

من الملاحـظ على سمـات اتحاد اللاهوت بالناسوت ، منذ الحبل فى بطن العذراء ، أنه اتـحاد:

- ❖ ((بـغير اختلاط ، ولا امتزاج ، ولا تغيـير)) . كما نصلى فى الاعـتراف الأخير ، من القـداس الإلهى .
- ❖ وبالاتحاد ، أصبح لله المتجسد ، طبيعة واحدة ، تحمل خصائص الطبيعة اللاهوتية والنـــاسوتية .
- ❖ وهـناك سمة أخرى للاتـحاد، وهى أن الاتحاد الذى تـم له بـداية ، ترجع إلى بـداية الحبل بالمسيح ، ولكن ليس له نهاية، بل هو دائم من غير انفصال ، إلى أبد الآبدين.
- ❖ لذلك منذ بدء الاتحاد الذى تم فى بطن العذراء ، وإلى أبد الآبدين . لم ولن يحدث انفصال قط ، ولو مجرد لـحظة واحدة ولا طرفة عين . فمن هنا نصلى فى القـــداس الإلهى قائلين : ((لاهوته لم يفارق ناسوته ، لـحظة واحـدة ولا طـرفة عـين)) .

٤– ولادة المـــسيح :

للمسيح ولادتان وهـما : الأولى أزليـــة – والثانية زمـنية .

ولنعطى فـكرة عـن كـل مـــنهما :

أ – الـولادة الأزلية .

وتـعنى هذه الولادة ، بالوجود الأزلى للمسيح ، مـــن الآب ، قبل كل الدهور ، وقـبل أن يتـجسد من العذراء مـريم ، بواسطة الروح القدس .

❖ ولهذه الولاده شهد الآب:((أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك)) (مز ٢: ٧) ، (أع ١٣ : ٣٣) ، (عب ١ :٥) ، (عب ٥ :٥) .

ب – الولادة الزمنية .

وتعنى الوجود الزمنى للمسيح ، من جهة تجسده ، بواسطة الروح القدس ، من القديسة مريم العذراء .

❖ فمن هنا جاء قول الرسول : ((ولما جاء ملء الزمان ، أرسل الله ابنه . مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس)) (غل ٤ : ٤ ،٥) ، (١ تى ٣ : ١٦) ، (يو ١ : ١٤).

❖ فولادته الزمنية من العذراء ، لا تعنى أنها بداية لاهوته . حاشا!! بل تعنى أنها بداية تجسده ، لأن لاهوته موجود منذ الأزل قبل أن يتجسد.

❖ لكن فى وقت ولادته الزمنية ، وُلِد وكان لاهوته متحداً بناسوته .

لذلك قيل عنه فى الكتاب: ((الكلمة اتخذ جسداً)) (يو ١: ١٤) ، أو : ((الله ظهر فى الجسد)) (١ تى ٣ : ١٦) .

❖ ومع ذلك أطلق على العذراء أمه ، أم الله (أش ٧ : ١٤)، (مت ١ : ٢٣) ، وأم الرب (لو ١ : ٤٣) .

❖ وهذا لا يعنى أن العذراء . أصل اللاهوت ، أو أُخذ منها اللاهوت . حاشا !! بل لأن الناسوت اتُخِذ منها ، بواسطة الروح القدس ، ولأن اللاهوت اتحد بالناسوت فى أحشائها ، وأيضاً لأنها ولدت الله المتجسد .

❖ فمن هنا جاءت تسميتها ، بأم الله ، أو أم الرب .

٥ – معنى كلمة سر :

❖ تعنى كلمة سر : بأنه الشئ غير المنظور ، الذى نحصل على بركاته ، من خلال أمور منظورة .

❖ وتعريفنا لكلمة سر ، ترجع أسبابها صراحة ، لأنها وردت فى تجسد المسيح الله الكلمة، كلمة سر (١ تى ٣ : ١٦) .

❖ ولماذا دُعى تجسد المسيح ، بسر التجسد ؟ !

فإجابة هذا السؤال ، تفرض علينا ، أن ندخل فى تفاصيل نقطة أخرى فى موضوعنا ، لكى نعرف الإجابة وهى :

٦ – الجوانب غير المنظورة ، والمنظورة فى الحبل والولادة بالمسيح :

❖ وهناك جوانب غير منظورة ، فى الحبل والولادة بالمسيح ، وتعد أسراراً .

❖ هناك أيضاً جوانب أخرى منظورة ، فى الحبل والولادة بالمسيح ، ولا تعد أسراراً .

ولنبدأ :

أ . الجوانب غير المنظورة :

تنحصر الجوانب غير المنظورة ، والتى تعد أسراراً فى الآتى :

❖ دور الآب فى سر التجسد ، يظهر من خلال رغبته الكاملة، فى فداء وخلاص البشرية .

❖ وقبول فكرة إنابة المسيح عن الإنسان ، فى الألم والموت ، وذلك من خلال تجسد المسيح وموته بالصليب . وللآب دور آخر فى الإعداد للتجسد ، وهو إرسال جبرائيل ، لبشارة العذراء بالحبل والولادة بالمسيح (لو ١ : ٢٦). وكل هذه الجوانب كانت أسراراً .

❖ ظهور الملاك للعذراء ، والحديث الذى تم بينهما ، واختيار العذراء أُماً لله المتجسد ، والبشارة وما جاء فيها من مَضمون (لو ١ : ٢٦ – ٢٨) . تُعد أسراراً .

❖ ومن جوانب الأسرار فى سر التجسد ، هو دور الروح القدس فى هذا السر (لو ١ : ٣٥) . ويتضح من حلوله على العذراء ، لتطهير وتقديس دماءها وأحشاءها ، من الخطية الجدية ، وإعداد الجنين فى بداية تكوينه ، الذى يتكون منه ناسوت المسيح (مت ١ : ١٨ ، ٢٠) .

❖ ومع ذلك حلول أقنوم الابن فى أحشاء العذراء ، واتحاده لاهوتياً بالناسوت ، داخل أحشائها، يعد سراً (يو ١ : ١٤) ، (كو ١: ١٩) ، (كو ٢: ٩) ، (ا تى ٣ : ١٦) .

❖ أما عن الجانب ، الذى يعد أكثر سرية وعظمة ، من أى جانب آخر ، وهو حبل العذراء وولادتها للمسيح ، وهى لا تزال عذراء بكراً (أش ٧ : ١٤) ، (حز ٤٤ : ٢) ، (مت ١ : ١٨، ٢٠ ، ٢٣) ، (لو ١ : ٣١).

ولننتقل إلى :

ب – الجوانب المنظورة :

فمن الجوانب المنظورة ، والتى لا تعد أسراراً ، فى الحبل والولادة بالمسيح هى :

❖ ظهور علامات الحبل على العذراء ، وخاصة بعد تقدم الجنين فى السن الجسدي . فمن هنا جاء شك يوسف، فى العذراء (مت ١ : ١٩) .

❖ ولادة السيد المسيح ، وعلم الناس بعد ذلك ، يعد من الجوانب المنظورة .

❖ ظهور الملائكة للرعاة والنجم للمجوس ، لبشارتهم بميلاد المسيح الرب والمخلص (لو٢ :٩ – ١٤) ، (مت٢ : ٧ – ١٢).

وتبقى معنا بعد ذلك ، نقطة رئيسية فى موضوعنا وهى :

٧ – الاختلاف والاتفاق ، بين المسيح والبشر ، فى الحَبل والولادة :

بلا شك هناك نقاط اختلاف واتفاق ، بين المسيح والبشر ، فى هذا الجانب .

أ – الاختلاف بين المسيح والبشر، فى الحبل والولادة :

يختلف المسيح عن البشر فى الحبل والولادة ، اختلافاً جزئياً وكلياً . وهذا الاختلاف يجعل الحبل به والولادة ، من نوع فريد ولا مثيل له ، ولذا دُعى بالابن الوحيد (يو١: ١٤ ، ١٧) .

وإليك هذه الجوانب :

❖ قبل الحبل بالمسيح ، حل الروح القدس على أمه العذراء ، وطهر وقدس دماءها ومستودعها، من الخطية الجدية ، وأعد الجنين فى بداية تكوينه ، من دمها الطاهر ، الذى تكون منه ناسوت المسيح .

❖ أما فى الحبل بالبشر عموماً ، لايحل الروح القدس على أى أم ، بل تحبل الأم بالجنين ، وهو حاملاً للخطية الجدية، وعقوبتها أيضاً (مز ٥١ : ٥) ، (رو ٥ : ١٢) . ولا يعد الروح القدس، جسد لأى جنين، كما أعد للمسيح ، بل يُعد جسد أى جنين ، بواسطة الاتصال الجسدى ، بين الرجل وزوجته ، كما رسم السيد الرب منذ خلق أبوينا آدم وحواء.

❖ تم الحبل بالمسيح بدون زرع بشر، أى من غير أب جسدى . أما عن الحبل بأى إنسان ، لايتم بدون زرع بشر .

❖ اتحد اللاهوت بالناسوت ، داخل أحشاء العذراء . أما فى الحبل بالبشر عموماً ، بما فيهم الأنبياء والرسل ، لم ولن يحدث هذا قط !!

❖ ومن نقاط الاختلاف الجوهرية ، فى الحبل والولادة بين المسيح والبشر ، هى أن حَبَل العذراء وولادتها للمسيح ، لم ولن يؤثر على غشاء بكارتها ، بل ظلت عذراء أثناء الحبل به ، وأثناء الولادة ، وبعد الولادة ، وإلى أبد الآبدين ، ظلت عذراء دائمة البتولية . لذلك نصلى فى القداس ونقول: ((العذراء كل حين)) .

❖ ونحن نتمسك بهذه العقيدة ، ليس حباً فى السيدة العذراء ، بل تمسكاً بلاهوت السيد المسيح، الذى اتحد بناسوته داخل أحشائها . لذلك استطاع المسيح بسهولة ، نظراً للاهوته ، أن يحفظ غشاء بكارتها ، وظلت عذراء إلى أبد الآبدين . أما عن الحبل والولادة بين البشر ككل ، يحتم أولاً فض غشاء بكارة الأم .

❖ للمسيح بنوتان : فالأولى بنوة أزلية من الآب، والثانية بنوة زمنية من القديسة العذراء مريم ، بواسطة الروح القدس .

❖ أما عن البشر ، فبنوة كل منهم زمنية ، بالولادة من والديه، وتوجد لهم أيضاً بنوة روحية لله بالتبنى ، وذلك من خلال الإيمان، والمعمودية ، والعمل بوصايا الرب ، والجهاد الروحى ... إلخ .

❖ فمن هنا دُعى المسيح فى الكتاب : ((بالبكر)) (مت ١ : ٢٥) ، (لو ٢ : ٧) ، (عب ١ : ٦) .

وكما تكلمنا عن نقاط الاختلاف ، بين المسيح والبشر ، فى الحبل والولادة . ينبغى أن نتكلم عن نقاط :

ب – الاتفاق بين المسيح والبشر ، فى الحبل والولادة :

لدينا عدة نقاط ، فى هذا الجانب :

❖ كان ولا يزال للمسيح أمٌ بالجسد ، وتدعى مريم العذراء . أما عن البشر فلكل واحد منهم ، أم وأب أيضاً .

❖ أعد الروح القدس للسيد المسيح ، ناسوتاً كاملاً روحاً ونفساً وجسداً ، وهو فى بطن أمه العذراء .

❖ كذلك الروح القدس هو الذى خلق أبوينا الأولين ، آدم وحواء ، وكلاهما كان روحاً ونفساً وجسداً ، ووضع بأن يأتى النسل البشرى ، عن طريق التزاوج والتناسل ، وأن يكون لكل إنسان روحاً ونفساً وجسداً .

❖ اشترك المسيح مع البشر ، فى طبيعتهم البشرية ، ما خلا الخطية وحدها ، أى أخذ ناسوتاً كاملاً مثلهم كما ذكر الرسول : ((إذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم ، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما ، لكى يبيد بالموت ، ذاك الذى له سلطان الموت ، أى إبليس)) (عب ٢ : ١٤).

❖ وبالرغم من اتفاق ، أو اشتراك المسيح معنا فى هذه النقاط وأمثالها ، هذا لايعنى أنه قد تساوى بنا . حاشا !!

❖ لكن يجب أن نعلم ونؤمن ، أنه هو : ((الله الظاهر فى الجسد)) (١ تى ٣ : ١٦) . ونحن التراب والعبيد ، ويجب أن نقدم له كل مخافة وخضوع ، نظراً لألوهيته وسلطانه ، ونعمه التى قدمها لنا ، ومازال يقدمها .

❖ **أسئلة وإجابتها حول ترجمة خاطئة ، نُسِبت لأقوال وتعاليم ، القديس كيرلس الكبير:**

نُشِر على بعض المواقع الإلكترونية ، ترجمة لأقوال وتعاليم ، منسوبة للقديس كيرلس الكبير، وبها أخطاء عديدة ، وإليكم هذه الترجمة ، وذلك للإجابة عن تساؤلاتنا :

((الابن الوحيد الذي أشرق علينا من نفس جوهر الآب ، والذي له في صميم طبيعته ، الآب الذي ولده ، قد صار جسداً حسب الكتب ، ومزج نفسه بصورة ما بطبيعتنا ، متحداً بالجسد الأرضي ، اتحاداً لا يُنطق به وهكذا هو الذي إلهٌ بطبعه ، وقد دُعيَ وصار بالحقيقة إنساناً سماوياً ، لكي يوحد بنفسه بنوعٍ ما ، الشيئين المتفرقين جداً عن بعضهما البعض ، أي اللاهوت والناسوت ، حتى يرفع بذلك الإنسان لمشاركة الطبيعة الإلهية)) .

في الحقيقة ، لي عدة ملاحظات حول ما جاء في هذه الترجمة الخاطئة ، المنسوب أقوالها وتعاليمها ، إلى القديس كيرلس الكبير :

أولاً- العبارات التي وردت بهذه الترجمة ، وتُنسَب خطأً للقديس كيرلس الكبير ، فهي تختلف عن تعاليم القديس كيرلس التي يعلمها الكل ، ومدونة في كتاباته ، كما إنها تختلف وتناقض ، إيمان كنيستنا المُسلَّم والمُعاش ، والذي نصليه دائماً في القداس الإلهي :

١- وهي مثال عبارة : (مزج نفسه بصورة ما ، بطبيعتنا) ، تُنسب هذه الكلمات بالخطأ ، للقديس كيرلس الكبير- بالرغم من أن القديس كيرلس ، يقول في تعليمه عن تجسد الابن وتأنسه ، عكس ذلك ، وإليك نص تعاليمه ، الخاصة بطبيعة السيد المسيح :

(مع ذلك بقي إلهاً ، ولم يتخلى عن ما كان عليه ، بل ظل محتفظاً بملء الوهيته ، في إخلائه ليكون مثلنا ، وجعل ما يخص الجسد خاصاً به ، لأن الجسد لم يكن جسد شخص آخر غيره ، بل بالحري جسده متحداً به ، بطريقة تفوق الوصف والتعبير . وهو لما صار جسداً ، لم يتغير إلى طبيعة الجسد ، بانتقال أو تحول أو تغيير ، ولا تعرض لاختلاط أو امتزاج في الجوهر . وهو نفسه الله صار انساناً ، الإله والإنسان معاً ، لا ينقسم إلى اثنين ، كما يعتقد الذين يقولون إن الكلمة اتصل بإنسان ، واعطاه نصيباً في رتبة البنوة . فالمسيح لم يصر إلهاً ، بعد أن كان إنساناً ، بل إذ كان الكلمة هو الله ، فإنه صار إنساناً) . (فقرة ٢١ – ٢٤ – البابا كيرلس السكندري – شرح قانون الإيمان رسالة ٥٥ ، جزء من رسائل القديس كيرلس ، ترجمة الدكتور موريس تواضروس ١٩٧٩ ص ٤) .

أ- كما إننا لا ننسى إيمان الكنيسة ، الخاص بطبيعة الله المتجسد ، التي من طبيعتين اللاهوتية والناسوتية ، والتي فيه ترفض الاعتقاد بمزج الطبيعتين ، كما هو وارد بالترجمة الخاطئة ، ولذا نُصلي بهذا الإيمان في القداس الإلهي ، ونعترف قائلين إنه اتحاد : (بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير) .

ب- وهذا التساؤل يقودنا أن نوضح ، لماذا ترفض الكنيسة مبدأ : (الاختلاط والامتزاج والتغيير)، في طبيعة السيد المسيح – الله المتجسد ؟

لأن الاختلاط أو الامتزاج أو التغيير ، بين الطبيعتين ، يقودنا إلى ثلاثة نتائج خاطئة خطيرة للغاية :

❖ أولها إما أن اللاهوت قد تغير ، وتحول إلى إنسان ، أو صار مختلطاً وممتزجاً مع الطبيعة البشرية ، هذا بخلاف إيماننا الواضح من الكتاب المقدس ، عن الله أنه : ((ليس عنده تغيير ، ولا ظل دوران)) (يع ١ : ١٧) .

❖ وثاني هذه النتائج الخاطئة ، هي أن ناسوت السيد المسيح ، قد تغير إلى ناسوتٍ متأله ، ويُعد هذا بدعة ، رفضتها الكنيسة على مر عصورها ، أمثال : الدوسيتيون ، الذين كانوا يؤمنون بأن جسد السيد المسيح ، هو جسد سماوي ، وكانوا يعتقدون أن المسيح هو : (إنسان سماوي) ، قد نزل جسده من السماء . وكذلك أمثال أبوليناريوس وأتباعه ، الذين لم يؤمنوا ، بأن ناسوت المسيح ، هو مثال ناسوتنا ، ما خلا الخطية ، حيث أنكر أبوليناريوس وجود الروح العاقلة ، في ناسوت السيد المسيح . وأيضاً الأوطاخيين ، الذين كانوا يؤمنون أن خواص الناسوت ، قد تلاشت ، حيث أن اللاهوت ، قد ابتلع ناسوت السيد المسيح ، وصار مثل نقطة خل في محيط .

❖ ولهذا فرقت الكنيسة في مصطلحاتها اللاهوتية ، الخاصة بطبيعة السيد المسيح ، وذلك بدقة متناهية ، بين مصطلحين ، وهما : طبيعة واحدة ، μιαφυσις (ميافيزيس) ، والذي يعني طبيعة واحدة ، مركبة من طبيعتين اللاهوتية والناسوتية . بعكس مصطلح μονοφυσις (مونوفيزيس) ، الذي يعني طبيعة وحيدة ، بمعنى الاختلاط والامتزاج والتغيير ، بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية . ولذلك عبر القديس كيرلس الكبير : عن مصطلح طبيعة واحدة ، متجسدة لله الكلمة Μιαφυσις του θεου λογου σεσαρκωμενη ، (ميافيزيس تو ثيئو لوغو سي ساركوميني) ،

وهنا استخدم المصطلح μιαφυσις (ميافيزيس) ، الذي يوضح عدم الاختلاط ، بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية .

❖ وثالث هذه النتائج الخاطئة ، أن ينتج عن الامتزاج بين اللاهوت والناسوت ، طبيعة جديدة ، تحمل خصائص تختلف في طبيعتها ، عن خصائص الطبيعة اللاهوتية والناسوتية في تكوينهما ، وأوضح مثال لذلك ، التفاعلات الكيميائية ، حيث ينتج عنها مُرَكَب كيميائي ، يختلف في خواصه ، عن خواص العناصر الداخلة في تركيبه ، وحاشا أن يحدث لطبيعة السيد المسيح هكذا .

ولذا الكنيسة بسلطانها ، قطعت كل من عَلَّم بالاختلاط أو الامتزاج أو التغيير ، بين طبيعة السيد المسيح ، اللاهوتية والناسوتية .

٢- والعبارة الثانية ، التي وردت بالترجمة ، وتقول عن المسيح إنه : (صار بالحقيقة إنساناً سماوياً)، هذه العبارة لا نقبلها ، لأنها تُنَاهِض إيمان كنيستنا وتناقضه ، لأنها تؤمن بأن السيد المسيح الله المتجسد ، له طبيعة واحدة من طبيعتين ، اللاهوتية والناسوتية ، لذلك يشهد الكتاب قائلاً : ((عظيمٌ هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد)) (١تيمو ٣ : ١٦) .

❖ أما عن التعاليم القائلة : أن المسيح إنساناً سماوياً ، تتفق مع تعاليم الدوسيتيين : الذين كانوا يؤمنون بأن جسد المسيح ، هو جسد سماوي ، وكانوا يعتقدون أن المسيح هو : (إنسان سماوي) ، نزل من السماء . وكذلك هذه التعاليم نرفضها ، لأنها تتفق مع تعاليم المانويين : الذين يقولون أن جسد الرب نزل من السماء ، وقد رد عليهم البابا أثناسيوس الرسولي – بأن الكنيسة تحرم من يعتقدون بهذا . بالإضافة إلى ذلك ، نرفض هذه التعاليم ، القائلة بأن المسيح : (إنسان سماوي) ، لأنها تتفق مع التعاليم النسطورية: التي لا تؤمن بأن المسيح هو الله المتجسد ، بل هو الإنسان يسوع المسيح ، الذي حل عليه اقنوم الابن ، حلول نعمة مثل البشر ، وليس حلولاً لاهوتياً ، للاتحاد بناسوته اتحاد اقنومي ، كما يصدق على هذا الكتاب ، في رسالة القديس بولس الرسول لأهل كولوسي بقوله : ((لأن فيه سُرَّ ، أن يحل كل الملء)) (كو ١ : ١٩) . وكل الملء يقصد به الرسول ، في موضع آخر من رسالته بأنه : ((كل ملء اللاهوت جسدياً)) (كو ٢ : ٩).

❖ ومن جانب آخر أشار القديس بولس الرسول ، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، وقت أن عمل مقارنة بين آدم والسيد المسيح ، ويُذكر هذا في بولس ليلة عيد القيامة ، فقال عن آدم : ((الإنسان الأول من الأرض ترابي – وعن المسيح قال : الإنسان الثاني الرب من السماء)) (١كو ١٥ : ٤٧) . فهناك فارق كبير بين آدم والمسيح ، لذلك قال الرسول عن آدم : الإنسان الأول ، من الأرض ترابي ، أما عن المسيح قال : الإنسان الثاني ، الرب من السماء ، لأن هذا يتفق مع طبيعة الله المتجسد ، ولم يقل عنه الإنسان السمائي ، كما يدعون .

٣- وهذه العبارات الخاطئة التي وردت بهذه الترجمة ، لا تتفق مع إيمان كنيستنا المُسلَّم والمُعاش فقط، بل أيضاً تختلف إختلافاً كلياً ، مع الترجمة الحرفية ، لنص تعاليم القديس كيرلس الكبير- في تفسيره لإنجيل القديس يوحنا ، الاصحاح السابع عشر ، الآية العشرين .

ثانياً- هذه التعاليم التي وردت بهذه الترجمة ، مأخوذة عن مقال في سلسلة طعام الأقوياء ٦٧: (المسيح بموته وقيامته لأجلنا، أعطانا كل ما له) ، ومنشورة على الموقع الإلكتروني ، الخاص بدير

أبو مقار ، في أربعة صفحات ، وبها أخطاء عديدة ، وخاصة خطأ تسمية المسيح بإنساناً سماوياً ، كما جاء بالمقال .

ثالثاً- أما عن تعاليم القديس كيرلس الكبير – التي وردت في كتاب تفسير إنجيل القديس يوحنا ، الاصحاح السابع عشر ، الآية العشرين .

وورد نصها باللغة الإنجليزية ، على موقع http://stjoeofoblog.wordpress.com ، تحت عنوان St Cyril Alexandria's Commentary on John 17:20-26 ، وعند طباعتها في شكل PDF يتكون المقال من عشر صفحات ، ويأتي النص موضع الخلاف في الترجمة في الصفحة الثالثة منها.

* Only-begotten, then, proceeding from the very Substance of God the Father, and having entirely in His own Nature Him That begat Him, became Flesh according to the Scripture, blending Himself, as it were, with our nature by an unspeakable combination and union with this body that is earthy; and thus He That is God by Nature became, and is in truth, a Man from heaven; not inspired merely, as some of those who do not rightly understand the depth of the mystery imagine, but being at the same time God and Man, in order that, uniting as it were in Himself things widely opposed by nature, and averse to fusion with each other, He might enable man to share and partake of the Nature of God.

٢- الترجمة الحرفية السليمة للنص الإنجليزي ، التي تتفق مع إيمان وعقائد كنيستنا ، حول طبيعة السيد المسيح ، هي كالآتي :

(الابن الوحيد المولود ، من ذات جوهر الله الآب ، وله في طبيعته ذاك الذي ولده ، صار جسداً بحسب الأسفار المقدسة ، وَوَحَّد نفسه بالطبيعة الناسوتية ، باتحاد لا يُنطَق به ، اتحاداً مع هذا الجسد الترابي .

وهكذا فإنه ليس مجرد إنسان يُوحى إليه ، كما يتوهم الذين لا يفهمون عمق هذا السر. إذ هو نفس الوقت إله وإنسان معاً ، حتى يوحد في نفسه أشياء متناقضة تماماً في طبيعتها ، دون اندماج مع بعضها ، وهكذا يتيح للإنسان شركة الطبيعة الإلهية) .

٣- أما عن الترجمات المنتشرة باللغة العربية ، وعلى مواقع إلكترونية عديدة ، بها أخطاء لاهوتية وعقائدية ، مثل عبارة : (مزج نفسه بصورة ما ، بطبيعتنا – أو صار بالحقيقة إنساناً سماوياً) . فجميعها تأخذ من بعضها البعض دون فحص ، ودون الرجوع إلى النصوص الأصلية ، لتعاليم القديس كيرلس وغيره

من الآباء. لذلك لا يجب أن تكون مرجعاً يُعمل به ، أو يُستند عليه ، لأنها تناهض وتقاوم إيمان الكنيسة المُسلَّم ، والمُعاش بها منذ قرون ، والذي يُذكر دائماً في القداس الإلهي .

نُصلي للرب بأن يحفظ إيمان كنيستنا الأقدس ، المُسلَّم لها منذ قرون .

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

تحريراً ٧ / ١٢ / ٢٠٢١م

الأنبا أغاثون

أسقف مغاغة والعدوة

ورئيس رابطة خريجي الكلية الإكليركية